القصص العالمية

كُنُوزُ المَلِكِ سُلَيْمَان




مُنْطَلَقُ الرِّحْلة إلى
كُنوزِ المَلك سُلَيْمان.
دربان
ساندا
خَريطة ألَن كواتِرْمان
لِطَريق الوصُول إلَى
مَملَكة كوكْوانا



الساحرات الثلاث
مغارة الكنز
الفجوة
طريق سليمان
مملكة
كوكوانا
جبل
جبال
سليمان
بئر ماء
الكبرى
نهر كالو كاوي
كيب تاون
رأس الرجاء الصالح
بورت إليزابيث

هَنْري رايْدَر هَجارْد (١٨٥٦-١٩٢٥)

كَتَبَ الكَثيرَ مِنَ الرِّواياتِ الذّائِعَةِ الصّيتِ، مِنْها رِوايَةُ «شي» ورِوايَةُ «أَلَن كواتِرْمان» اللَّتانِ أَصْدَرَهُما في العامِ ١٨٨٧، ورِوايَةُ «عائِشَة، أَوْ عَوْدَة شي» الَّتي أَصْدَرَها في العامِ ١٩٠٥.

أَمّا أَشْهَرُ رِواياتِهِ فَهِيَ «كُنوزُ المَلِكِ سُلَيْمانَ» الَّتي نُقَدِّمُها اليَوْمَ إلى القارِئِ العَرَبِيِّ، وقَدْ أَصْدَرَها في العامِ ١٨٨٦. إِنَّها قِصَّةُ مُغامَراتٍ مُثيرَةٍ مُشَوِّقَةٍ بَحْثًا عَنْ شَقيقٍ مَفْقودٍ وكَنْزٍ مَدْفونٍ في باطِنِ الجِبالِ. وقَدْ لاقَتِ الرِّوايَةُ نَجاحًا ساحِقًا في مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ العالَمِ ونُقِلَتْ إلى عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ اللُّغاتِ. ويَزيدُها تَشْويقًا الرُّسومُ البَديعَةُ الدَّقيقَةُ المُلَوَّنَةُ الَّتي تُزَيِّنُ صَفَحاتِ الكِتابِ كُلَّها.

سِلْسِلَة «القِصَص العالَمِيَّة»

١- جَزيرَةُ الكَنْز
٢- أُسْرَةُ روبِنْسُن السّويسرِيَّة
٣- الحَديقَةُ السِّرِّيَّة
٤- رِحْلَةٌ إلى باطِنِ الأَرْضِ
٥- قِصَّةُ مَدينَتَيْن
٦- العالَمُ المَفْقود
٧- الفُرْسانُ الثَّلاثَة
٨- شَبَحُ باسْكِرْفيل
٩- كُنوزُ المَلِكِ سُلَيْمان
١٠- حَوْلَ العالَمِ في ثَمانينَ يَوْمًا
١١- أُنْشودَةُ العيد
١٢- الرّيحُ والصَّفْصاف

كُنُوزُ المَلِكِ سُلَيْمَانَ ﷺ



إعداد : الدكتور ألبير مُطلَق
عن قصّة : هنري رايدر - هغارد
رسوم : فرانك همفريس

مكتبة لبنان

كُنوزُ المَلِكِ سُلَيمان

لَعَلَّ مِنَ الغَريبِ أَنَّ رَجُلًا مِثْلي بَلَغَ الخامِسَةَ والخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ، ولَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ كانَ يَوْمًا رِوائِيًّا، يَجِدُ نَفْسَهُ مُنْكَبًّا على كِتابَةِ قِصَّةٍ.

عِشْتُ في إفْريقيا الجَنوبِيَّةِ حَياةً حافِلَةً بالإثارَةِ، قَضَيْتُها في تَرْحالٍ وصَيْدٍ واسْتِغْلالِ مَناجِمَ. القِصَّةُ الَّتي سَأَرْويها لَكُمْ غَريبَةٌ، وقَدْ آنَ الأَوانُ لِلشُّروعِ بِها.

اِسْمي أَلَن كواتِرْمان مِنْ مَدينَةِ دُرْبان في جَنوبِ إفريقيا. كُنْتُ قَبْلَ ثَمانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا عَلى مَتْنِ سَفينَةٍ بُخارِيَّةٍ، في طَريقِ عَوْدَتي مِنْ رِحْلَةِ صَيْدٍ. وكانَ بَيْنَ المُسافِرينَ رَجُلانِ إنْجليزِيّانِ.

الرَّجُلُ الأَوَّلُ كانَ السّير هَنْري كورْتِس، وَهُوَ أَحَدُ أَضْخَمِ مَنْ عَرَفْتُ مِنَ الرِّجالِ، وكانَ ذا شَعْرٍ أَشْقَرَ ولِحْيَةٍ كَثَّةٍ (كَثيفَةٍ). وأَمّا الثّاني فَهُوَ الكابْتِن جون جود، وكانَ ضابِطًا بَحْرِيًّا، أنيقًا، حَليقَ اللِّحْيَةِ، يَضَعُ عَلى عَيْنِهِ اليُمْنى نَظّارَةً أُحادِيَّةً. وقَدْ عَلِمْتُ فيما بَعْدُ أَنَّه لَمْ يَكُنْ يَنْزِعُ تِلْكَ النَّظّارَةَ إلّا عِنْدَ النَّوْمِ، ويَنْزِعُ مَعَها أَيْضًا طَقْمَ أَسْنانِهِ الاِصْطِناعِيَّةِ!

كانَ مُقَدَّرًا لي أَنْ يَكونَ بَيْني وبَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَعْرِفَةٌ وَثيقَةٌ، وأَنْ يُشارِكاني في أَعْظَمِ مُغامَرَةٍ خُضْتُها في حَياتي!



اِلتَقَيْتُ الرَّجُلَيْن عَلَى العَشاءِ في أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ ليالي تِلْكَ الرِّحْلَةِ البَحْرِيَّةِ. وحينَ عَرَّفْتُ بِنَفْسي بَدا الاهْتِمامُ عَلى وَجْهِ السّير هَنْري، فمالَ نَحْوي، وقالَ:

«يا سَيِّدُ كواتِرْمان، سَمِعْتُ أَنَّك كُنْتَ في العامِ الماضي شَمالِيَّ التَّرانسفال، فَهَلِ صادَفَ أَنْ قابَلْتَ رَجُلًا يُسَمَّى نِفِل؟»

«نَعَمْ. لَقَدْ رافَقَني أُسْبوعَيْنِ، ثُمَّ اتَّجَهَ ناحِيَةَ الداخِلِ.»

«أَتَعْلَمُ أَيْنَ كانَتْ وُجْهَتُهُ؟»



بَدا عَلَيَّ التَّرَدُّدُ وأَنا أُجيبُ قائلًا: «تَناهى إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.»

نَظَرَ السّير هَنْري والكابْتِن جود أَحَدُهُما إلى الآخَرِ، ثُمَّ التَفَتَ السّير هَنْري إِلَيَّ وقالَ: «يا سَيِّدُ كواتِرْمان، سَأَطْلُبُ مَعونَتَكَ. فالمَعْروفُ بِاسْم نِفِل هو أَخي الوحيدُ، جورْج.»

لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْفاءَ انْدِهاشي. ثُمَّ شَرَعَ السّير هَنْري في شَرْحِ الأَمْرِ فقالَ:

«مُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ وَقَعَ بَيْني وبَيْنَ أَخي خِصامٌ، كالَّذي يَقَعُ

بَيْنَ الإخْوَةِ. بُعَيْدَ ذَلِكَ، ماتَ أَبي دونَ أَنْ يَتْرُكَ وراءَهُ وَصِيَّةً. فآلَتْ مُمْتَلَكاتُهُ كُلُّها إِلَيَّ باعْتِباري الابْنَ الأَكْبَرَ. ولَمْ يَنَلْ أَخي شَيْئًا. وكُنْتُ، بِطَبيعَةِ الحالِ، راغِبًا في إعْطاءِ أَخي نَصيبًا مِنَ الإرْثِ، لَكِنَّ حَماقَةَ الكِبْرِياءِ الَّتي خَلَّفَتْها الخُصومَةُ مَنَعَتْني مِنْ ذَلِكَ.»

تَنَهَّدَ السّير هَنْري وتابَعَ يَقولُ: «واتَّخَذَ أَخي اسْمَ نِفِل، دونَ أَنْ يُعْلِمَني بالأَمْرِ، وجاءَ إلى إفْريقيا يُراوِدُهُ حُلُمٌ جامِحٌ بالثَّرْوَةِ. ومُنْذُ ذَلِكَ الحينِ لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا عَنْهُ. فجِئْتُ أَنا والكابْتِن جود عَلى أَمَلِ العُثورِ عَلَيْهِ.»

قُلْتُ: «سَمِعْتُ أَنَّهُ مُتَّجِهٌ إلى كُنوزِ سُلَيْمانَ.»

صاحَ الرَّجُلانِ في دَهْشَةٍ: «كُنوزُ سُلَيْمانَ! ما هي تِلْكَ الكُنوزُ؟»

أَشْعَلْتُ غَليوني وقُلْتُ: «لا أَعْرِفُ عَنْها إلّا ما قيلَ لي عَنْ مَوْقِعِها. كُنْتُ لا أَزالُ شابًّا يافِعًا حينَ حَدَّثَني صَيّادٌ عَجوزٌ بأُسْطورَةِ كُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ. ذَكَرَ لي أَنَّها تَقَعُ في مَجاهِلِ الصَّحْراءِ الكُبْرى المُمْتَدَّةِ وَراءَ جِبالِ سُلَيْمانَ، وأَنَّ رِجالَ قَبائِلِ الزّولو الَّتي تَعيشُ في تِلْكَ البِقاعِ، يَعْرِفونَ سِرَّ «الحِجارَةِ البَرّاقَةِ». أَضْحَكَتْني الحِكايَةُ آنذاكَ، ثُمَّ نَسيتُ أَمْرَها.»

ونَظَرْتُ إلى الرَّجُلَيْنِ نَظْرَةَ تَأَمُّلٍ.

«على أَيِّ حالٍ، فَقَدْ صادَفَ أَنْ قابَلْتُ، بَعْدَ عِشْرينَ عامًا مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ، في قَرْيَةِ سِتانْدا، رَجُلًا بُرْتُغاليًّا اسْمُهُ جوزيه سِلْفَسْتَر، كانَ يُزْمِعُ عَلى عُبورِ الصَّحْراءِ. وقَدْ ذَكَرَ لي سِلْفَسْتَر أَنَّهُ سَيَكونُ، بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ رِحْلَتِهِ، أَغْنى رَجُلٍ في الدُّنْيا.

«بَعْدَ أُسْبوعٍ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يَدْخُلُ مُخَيَّمي زاحِفًا، وقَدْ بَدا عَلَيْهِ الوَهَنُ الشَّديدُ. فَقُمْتُ عَلى خِدْمَتِهِ ومُداواتِهِ، لَكِنَّهُ كانَ مُقْبِلًا عَلى المَوْتِ. وحينَ أَحَسَّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ أَعْطاني خَريطَةً عَتيقَةً مُشيرًا إلى أَنَّها تُري الطَّريقَ إلى كُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ،



وأَنَّ أُسْرَتَهُ حَفِظَتْها مُدَّةَ ثَلاثِمِائَةِ عام. لَقَدْ حاوَلَ سُلوكَ طَريقِ الكَنْزِ، لَكِنْ قَهَرَتْهُ الصَّحْراءُ. ولا أَزالُ أَحْتَفِظُ بِالخَريطَةِ.»

دَعَوْتُ الرَّجُلَيْنِ إلى قَمْرَتي (غُرْفَةِ القِيادَةِ الخاصَّةِ بي)، وأَخْرَجْتُ الخَريطَةَ البالِيَةَ ورُحْنا ثَلاثَتُنا نَتَأَمَّلُها. وَضَعَ السّير هَنْري إصْبَعَهُ عَلى الخَريطَةِ وراحَ يَتَتَبَّعُ المَسارَ المَرْسومَ بَدْءًا مِنْ نَهْرِ كالوكاوي الَّذي يَشُقُّ الصَّحْراءَ، فإلى النُّقْطَةِ الَّتي تَقَعُ بَيْنَ قِمَّتَيْ جَبَلِ سَبَأ التَّوْأَمَيْنِ، وأَخيرًا إلى طَريقِ سُلَيْمانَ المُوْصِلَةِ إلى مَغارَةِ الكَنْزِ.

«أَتَظُنُّ أَنَّ أَخي ذَهَبَ إلى هُناكَ؟»

قُلْتُ: «بَلْ أَجْزِمُ بِذَلِكَ. فَقَدْ ذَكَرَ لي وُجْهَتَهُ الدَّليلُ الَّذي كانَ يُرافِقُهُ.»

وَقَفَ السّير هَنْري وقالَ: «يا سَيِّدُ كواتِرْمان، أَنا ماضٍ لِلبَحْثِ عَنْه، سَواءٌ أَصَدَقَتْ أُسْطورَةُ الكَنْزِ أَمْ لا. أَتَأْتي مَعي؟»

قُلْتُ جادًّا: «قَدْ نَهْلِكُ في تِلْكَ الرِّحْلَةِ. لَكِنْ إنْ كُنْتَ عَلى اسْتِعدادٍ لِلقِيامِ بِالمُخاطَرَةِ، فَأَنا مُسْتَعِدٌّ أَيْضًا.»

عِنْدَما رَسَتِ السَّفينَةُ في دُرْبان أَخَذْتُ صَديقَيَّ الجَديدَيْنِ إلى بَيْتي، وشَرَعْنا نَسْتَعِدُّ لِمُغامَرَتِنا الكُبْرى. اِشْتَرَيْنا مُؤَنًا وبَنادِقَ وذَخيرَةً.

وقَبْلَ بَدْءِ رِحْلَتِنا بِيَوْمٍ، جاءَ دَليلٌ مِنْ أَهْلِ البِلادِ يطْلُبُ مُواجَهَتي. كانَ رَجُلًا طَويلًا ذا بَشَرَةٍ دونَ بَشَرَةِ قَبائِلِ الزّولو دُكْنَةً.

رَفَعَ الرَّجُلُ نَبّوتَهُ (هِراوَتَهُ) تَحِيَّةً، وقالَ: «اِسْمي أُمْبوبا. سَمِعْتُ أَنَّكَ سَتَقودُ بَعْضَ البيضِ شَمالًا. أَصحيحٌ ما سَمِعْتُ؟»

كُنّا قَدْ أَخْفَيْنا الغايَةَ مِنْ رِحْلَتِنا! فَنَظَرْتُ إلى الرَّجُلِ نِظْرَةَ ارْتِيابٍ، وقُلْتُ: «لِمَ تَسْأَلُ؟ ما يَعْنيكَ مِنَ الأَمْرِ؟»

«الأَمْرُ هُوَ، أَيُّها الرَّجُلُ الأَبْيَضُ، أَنَّني أَرْغَبُ في السَّفَرِ مَعَكُمْ.»

حَيَّرَني أُسْلوبُهُ المُتَرَفِّعُ في الحَديثِ ورَصانَةُ شَخْصِيَّتِهِ، وبَدا لي مُتَمَيِّزًا عَنْ رَجُلِ الزّولو العادِيِّ، فَقُلْتُ: «لا نَعْرِفُ عَنْكَ شَيْئًا.»

أَجابَ: «أَنا واحِدٌ مِنْ أَفْرادِ قَبيلَةِ الزّولو، ولَسْتُ، مَعَ ذَلِكَ، مِنْهُمْ. فَقَدْ قَدِمْتُ مِنَ الشَّمالِ طِفْلًا، وتَنَقَّلْتُ في هَذِهِ البِقاعِ سِنينَ عَديدَةً. الآنَ أَشْعُرُ بِالتَّعَبِ، وأَرْغَبُ في العَوْدَةِ إلى الشَّمالِ.»

تَرْجَمْتُ كَلِماتِهِ لِلسّير هَنْري والكابْتِن جود. وَقَفَ السّير هَنْري قُبالَتَهُ، فَبَدا لَهُ أُمْبوبا، بِقامَتِهِ الفارِعَةِ، وثَوْبِهِ المَصْنوعِ مِنْ جِلْدِ النَّمِرِ، وعَقْدِهِ المَشْكوكِ مِنْ مَخالِبِ الأَسَدِ، رَجُلًا ذا عَزْمٍ ومَهابَةٍ. وبَدا مُطْمَئِنًّا وَهُوَ يَقولُ بالإِنْجليزِيَّةِ:

«أَتَوَسَّمُ فيك خَيْرًا. سَآخُذُكَ مَعي، وتَكونُ مُرافِقًا لي.»

وتَمْتَمَ جود يَقولُ: «هَذانِ الرَّجُلانِ يَليقُ أَحَدُهُما بِالآخَرِ. أَلا تَرى مَعي ذَلِكَ؟ كِلاهُما طَويلٌ وحازِمٌ.»



بَدا عَلى أُمْبوبا أَنَّهُ فَهِمَ ما دارَ حَوْلَهُ مِنْ حَديثٍ فقالَ: «شُكْرًا عَلى موافَقَتِكُمْ.»

تَمَّتِ الاِسْتِعْداداتُ، وشَرَعْنا في صَباحِ اليَوْمِ التّالي في رِحْلَتِنا الخَطِرَةِ.

تَرَكْنا دُرْبان في نِهايَةِ شَهْرِ يَناير. وفي أَواسِطِ شَهْرِ مايو كُنّا قَدْ قَطَعْنا مَسافَةً تَزيدُ عَلى أَلْفٍ وسِتِّمِائَةِ كيلومِتْرٍ. واسْتَطَعْنا في أَثْناءِ ذَلِكَ أَنْ نُحافِظَ عَلى مَعْنَوِيّاتِنا عالِيَةً، رُغْمَ الإِنْهاكِ الَّذي أَصابَنا.

أَخيرًا وَصَلْنا إلى حافَّةِ الصَّحْراءِ، ووَقَفْنا نَتَأَمَّلُ الرِّمالَ



المُمْتَدَّةَ أَمامَنا. كانَتِ الشَّمْسُ تَتَّجِهُ نَحْوَ المَغيبِ والسَّماءُ صافِيَةً صَفاءً ساحِرًا. واسْتَطَعْنا أَنْ نَرى في الأُفُقِ البَعيدِ خَيالًا أَزْرَقَ خَلَّفَتْهُ جِبالُ سُلَيْمانَ.

قُلْتُ مُشيرًا إلى الأُفُقِ: «ذَلِكَ هُوَ الجِدارُ الَّذي يُحيطُ بِكُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ.»

قالَ السّير هَنْري بِصَوْتٍ هادِئٍ خَفيضٍ: «إِنَّ أَخي هُناكَ.»

وسَمِعْنا صَوْتَ أُمْبوبا الَّذي كانَ خَلفَنا يَقولُ: «لَعَلّي أَجِدُ أَنا أَيْضًا أَخًا لي فَوْقَ تِلْكَ الجِبالِ. هُنالِكَ أَرْضٌ غَريبَةُ الأَطْوارِ، أَرْضُ أُناسٍ بَواسِلَ وطَريقٍ أَبْيَضَ طَويلٍ.»



نَظَرْتُ إِلَيْهِ بارْتِيابٍ. فَقَدْ بَدا أَنَّهُ يَعْلَمُ أَكْثَرَ مِمّا يُفْصِحُ بِهِ.

وقَدْ لاحَظَ ارْتِيابي وقَلَقي فبادَرَني قائلًا: «لا تَخَفْ مِنّي، فسَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ ما أَعْلَمُ، إذا قُدِّرَ لَنا أَنْ نَعْبُرَ الجِبالَ.»

مَكَثْنا اليَوْمَ التّالي كُلَّهُ في مَكانِنا طَلَبًا لِلرّاحَةِ. وشَرَعْنا في رِحْلَتِنا عَبْرَ الصَّحْراءِ مَعَ طُلوعِ القَمَرِ الَّذي مَلَأَ البِقاعَ بِفَيْضٍ مِنْ نورِهِ. فَقَدْ كانَ عَلَيْنا أَنْ نُسافِرَ لَيْلًا تَجَنُّبًا لِحَرارَةِ الشَّمْسِ المُحْرِقَةِ.

رُحْنا نَطَأُ الثَّرى خِفافًا، صامِتينَ صَمْتَ الأَشْباحِ. وسُرْعانَ ما انْبَلَجَ الصَّباحُ، وارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ مُغَلِّفَةً الصَّحْراءَ بِوَهَجِها الحارِقِ. وأَسْرَعْنا نَبْحَثُ عَنْ مَلْجَإٍ يَقينا شَرَّ الحَرِّ. وتَتابَعَتِ الأَيّامُ واللَّيالي، ونَحْنُ عَلى هَذِهِ الحالِ مِنْ سَفَرٍ في اللَّيْلِ وراحَةٍ في النَّهارِ. ثُمَّ وَصَلْنا إلى وَقْتٍ وَجَدْنا فيهِ الماءَ الَّذي نَحْمِلُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلى النَّفادِ.

تَمَلَّكَني الخَوْفُ وقُلْتُ: «عَلَيْنا أَنْ نَجِدَ ماءً!»

أَخَذْنا نَبْحَثُ عَنْ بِئْرِ الماءِ الَّتي تُشيرُ إِلَيْها خَريطَةُ سِلْفَسْتَر. وبَعْدَ يَأْسٍ، تَتَبَّعْنا آثارَ ظَبْيٍ نُقِشَتْ حَديثًا في الرِّمالِ، فَوَجَدْنا البِئْرَ، ونَحْنُ عَلى آخِرِ رَمَقٍ. أَقْبَلْنا عَلى الماءِ بِشَغَفٍ، ثُمَّ مَلَأْنا أَوْعِيَتَنا وقِرَبَنا، وانْطَلَقْنا في طَريقِنا مُجَدَّدًا.

اِقْتَرَبْنا مِنْ جِبالِ سُلَيْمانَ، مُخَلِّفينَ الصَّحْراءَ وَراءَ ظُهورِنا. ثُمَّ شَرَعْنا نَتَسَلَّقُ المُنْحَدَراتِ البُرْكانِيَّةَ لِقِمَّةِ جَبَلِ سَبَأَ اليُسْرى. وهُنا نَفَدَ مِنّا الماءُ ثانِيَةً، لَكِنّا وَقَعْنا عَلى بَعْضِ ثِمارِ البِطّيخِ



البَرِّيَّةِ. وكانَتْ فاكِهَةً غَيْرَ شَهِيَّةٍ، لَكِنَّها أَنْقَذَتْ حَياتَنا.

تابَعْنا طَرِيقَنا نَحْوَ القِمَّةِ، حَتّى وَجَدْنا أَنْفُسَنا نَتَسَلَّقُ بِقاعًا تُغَطّيها الثُّلوجُ. أَخيرًا وَقَفْنا عَلى قِمَّةِ جَبَلٍ شاهِقٍ، وقَدْ أَنْهَكَ أَجْسادَنا الإِرْهاقُ والجوعُ.

وانْكَشَفَ أَمامَ أَعْيُنِنا مَنْظَرٌ أَخّاذٌ يَسْحَرُ الأَلْبابَ. فَلَقَدْ كانَتْ تَمْتَدُّ في أَسْفَلِ الجَبَلِ، مِنْ بَعيدٍ، غاباتٌ كَثيفَةٌ، ونَهْرٌ عَظيمٌ يَشُقُّ طَريقَهُ الفِضِّيَّةَ عَبْرَ سَهْلٍ واسِعٍ.

رَأَيْنا في مَكانٍ قَريبٍ ظَبْيًا يَنْعَمُ بِدِفْءِ الشَّمْسِ. ها نَحْنُ أَخيرًا قَدْ وَجَدْناه طَعامًا! صَوَّبْنا بَنادِقَنا وأَطْلَقْنا طَلَقاتٍ دَقيقَةً. وبَعْدَ أَنْ تَناوَلْنا عَشاءَنا أَحْسَسْنا بِحَرارَةِ الحَياةِ تَدِبُّ ثانِيَةً في أَجْسادِنا.

فَجْأَةً صاحَ السّير هَنْري قائلًا: «أُنْظُروا! ذاكَ هُوَ طَريقُ سُلَيْمانَ.»



نَظَرْنا أَنا وجود إِلى حَيْثُ أَشارَ، فَرَأَيْنا الطَّريقَ غَيْرَ بَعيدَةٍ عَنّا. فهَبَطْنا المُنْحَدَرَ إِلى أَنْ بَلَغْنا الطَّريقَ. أَحْسَسْنا كُلُّنا بِالانْدِهاشِ، فَقَدْ بَدَتْ لَنا الطَّريقُ كُلُّها وكَأَنَّها قُدَّتْ مِنْ صَخْرٍ (شُقَّتْ بَيْنَ الصُّخورِ). وكانَ السَّيْرُ هَيِّنًا على وَجْهِها الأَمْلَسِ، فَقَرَّرْنا أَنْ نَتَّخِذَها مَمَرًّا.

بَعْدَ بِضْعَةِ كيلومِتْراتٍ تَوَقَّفْنا عِنْدَ نَهْرٍ طَلَبًا لِلرّاحَةِ، ما عَدا جود، فإِنَّهُ، عَلى عادَتِهِ في الْتِزامِ الأَناقَةِ، نَزَلَ إِلى النَّهْرِ يَغْتَسِلُ، وشَرَعَ بَعْدَ ذَلِكَ يُنَظِّفُ سُتْرَتَهُ بِعِنايَةٍ فائِقَةٍ. ثُمَّ إِنَّهُ أَخْرَجَ موسى حِلاقَةٍ وبَدَأَ يَحْلِقُ ذَقَنَهُ الشائِكَةَ. ووَجَدْتُ نَفْسي أُراقِبُهُ مُتَكاسِلًا.

فَجْأَةً، لَمَعَ شَيْءٌ قُرْبَ رَأْسِهِ. وكانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ رُمْحًا!



في هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَنَبَّهْنا إلى عَدَدٍ مِنَ الرِّجالِ ذَوي البَشَرَةِ النُّحاسِيَّةِ، يَلْبَسونَ ثِيابًا مِنْ جِلْدِ النَّمِرِ ويَضَعونَ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ غِطاءً مِنَ الرّيشِ الأَسْوَدِ. وبَدا أَنَّ أَحَدَهُمْ هُوَ الَّذي قَذَفَ الرُّمْحَ، فَقَدْ كانَتْ ذِراعُهُ لا تَزالُ مَرْفوعَةً. مَشَوا جَميعًا نَحْوَنا، يَتَقَدَّمُهُمْ مُحارِبٌ كانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًّا.

بادَرْتُهُمْ بِلُغَةِ الزّولو قائلًا: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ!»

أَجابَني كَبيرُهُمْ بِلُغَةٍ لَيْسَتْ هِيَ لُغَةَ الزّولو، ولكِنَّها قَريبَةٌ مِنْها، فَسَهُلَ عَلَيّ وعَلى أُمْبوبا فَهْمُ كَلامِهِ. قالَ، وَهُوَ يُشيرُ إلى أُمْبوبا: «وعَلَيْكُمُ السَّلامُ. مَنْ أَنْتُمْ؟ ولِمَ كانَتْ وُجوهُكُمْ بَيضاءَ وَوَجْهُ هَذا الرَّجُلِ نُحاسِيًّا كَوُجوهِنا؟»

لَقَدْ كانَ مُحِقًّا في مُلاحَظَتِهِ. قُلْتُ: «نَحْنُ أَغْرابٌ مُسالِمونَ.» «أَغْرابٌ؟ الأَغْرابُ في مَمْلَكَةِ كوكْوانا مَحْكومٌ عَلَيْهِمْ بِالمَوْتِ! إِنَّهُ قانونُ المَلِكِ.»

بَدا الاِضْطِرابُ عَلى جود، ومَدَّ يَدَهُ إلى طَقْمِ أَسْنانِهِ الاِصْطِناعِيَّةِ، كَما اعْتادَ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّما اضْطَرَبَ أَوِ ارْتَبَكَ. ثُمَّ حَرَّكَ الجانِبَ العُلْوِيَّ مِنَ الطَّقْمِ مِنَ مَوْضِعِهِ ودَفَعَهُ داخِلَ فَمِهِ إلى جانِبِ حَنَكِهِ. في تِلْكَ اللَّحْظَةِ صَرَخَ المحارِبونَ التَّيّاهونَ صِرْخَةَ فَزَعٍ وارْتَدّوا إلى الخَلْفِ!



هَمَسَ السّير هَنْري بانْفِعالٍ: إِنَّها أَسْنانُكَ الإِصْطِناعِيَّةُ، يا جود! اِنْزِعْها مِنْ فَمِكَ فَوْرًا.»

أَسْرَعَ جود يُخْرِجُ طَقْمَ أَسْنانِهِ مِنْ فَمِهِ ويُخْفيهِ في كُمِّهِ. وكانَ الرِّجالُ قَدْ بَدأوا يَعودونَ ناحِيَةَ جود، وقَدْ غَلَبَ الفُضولُ عِنْدَهُمُ الخَوْفَ.

قالَ كَبيرُهُمْ: «كَيْفَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، أَيُّها الغَريبُ!»

كَشَّرَ جود كاشِفًا عَنْ فَمٍ خالٍ مِنَ الأَسْنانِ، فَصُعِقَ الرِّجالُ. ثُمَّ إِنَّهُ أَعادَ الطَّقْمَ إلى فَمِهِ بِحَرَكَةٍ سَريعَةٍ ذَكِيَّةٍ، وكَشَّرَ ثانِيَةً كاشِفًا عَنْ صَفَّيْنِ بَديعَيْنِ مِنَ الأَسْنانِ.

بَدا الرُّعبُ في وَجْهِ كَبيرِ القَوْمِ، وَهُوَ يَقولُ مُتَلَعْثِمًا: «لا شَكَّ أَنَّكُمْ مِنَ الجِنِّ. فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْبُتَ لِلرَّجُلِ شَعْرٌ على جانِبٍ واحِدٍ مِنْ وَجْهِهِ، وأن يَكونَ لَهُ عَيْنٌ شَفّافَةٌ، وساقانِ بَيْضاوانِ، وأَسْنانٌ تَخْتَفي وتَنْبُتُ من جَديدٍ؟ عَفْوَكُمْ، يا سادَةُ!»

لَقَدْ أَنْقَذَتْنا هَيْئَةُ جود. كانَ ذَلِكَ حَظًّا ما بَعْدَهُ حَظٌّ. فَأَسْرَعْتُ أَقولُ بِصَوْتٍ حازِمٍ:

«نَحْنُ آتونَ مِنَ النُّجوم! سأُريكُمْ ما نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ. سأُريكُمْ كَيْفَ أَنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نُصْدِرَ ضَجَّةً قاتِلَةً.»

فَهِمَ أُمْبوبا ما أَعْنيهِ، فأَسْرَعَ يُناوِلُني بُنْدُقِيَّتي. ثُمَّ انْحَنى إِجْلالًا وقالَ مُخاطِبًا إِيّايَ: «إِلَيْك، يا سَيِّدي، الأُنْبوبَ السِّحْرِيَّ.»

وكُنْتُ قَدْ رأَيْتُ ظَبْيًا قَريبًا سَهْلَ المَنالِ. صَوَّبْتُ وأَطْلَقْتُ النّارَ، فوَقَعَ الظَّبْيُ صَريعًا.

«تَرَوْنَ أَنّي أَعْني ما أَقولُ.»

فقالَ كَبيرُ القَوْمِ مُتَلَعْثِمًا: «ونَحْنُ مُصَدِّقونَ.»

ثُمَّ قالَ: «اِسْمَعوا، يا أَبْناءَ النُجومِ. أَنا إِنْفادوس، ابْنُ كافا الَّذي كانَ ذاتَ يَوْمٍ مَلِكَ شَعْبِ كوكْوانا. وهَذا الشّابُّ هُوَ سكراجا، ابنُ المَلِكِ طوالا الأَسْوَدِ المُرْعِبِ.»

قُلْتُ: «وإنْ يَكُنْ! خُذْنا إلى طوالا. لَكِنْ لا تُحاوِلْ خِداعَنا. إنَّكَ إنْ حاوَلْتَ ذَلِكَ فَسَيُدَمِّرُكَ شُعاعُ العَيْنِ الشَّفّافَةِ، وسَتَنْغَرِزُ في جَسَدِكَ الأَسْنانُ الطّائرَةُ، وستَنْطِقُ أنابيبُنا السِّحْرِيَّةُ بأَصْواتٍ صاخِبَةٍ. فَحَذارِ!»

تَرَكَتِ الخُطْبَةُ البَليغَةُ أَثَرَها في إنْفادوس، فانْحَنى انْحِناءَةً شَديدَةً وهَمْهَمَ قائلًا: «كُوم! كُوم!» وقَدْ فَهِمْتُ فيما بَعْدُ أَنَّ هَذِهِ، عِنْدَ شَعْبِ الكوكْوانا، لَفْظَةٌ يُحَيّونَ بِها المُلوكَ. عِنْدَ ذاكَ رَأَيْتُ وَجْهَ سكراجا، ابْنِ المَلِكِ، يَنْضَحُ غَضَبًا. ثُمَّ تابَعْنا مَسيرَتَنا عَبْرَ الطَّريقِ البَيْضاءِ الطَّويلَةِ.



سَأَلْتُ إنْفادوس، في أَثْناء سَيْرِنا، عَمَّنْ بَنى تِلْك الطَّريقَ.

فأَجابَ:

«لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَنْ بَنى الطَّريقَ ومَتى بُنِيَتْ. فإنّها كانَتْ قائِمَةً مُنْذُ آلافِ السِّنينَ، حينَ انْدَفَعَ شَعْبُنا مِنَ الشَّمالِ كَهُبوبِ العاصِفَةِ وحَلَّ في هَذِهِ الأَرْضِ. لَمْ يَكُنْ بإمْكانِ شَعْبِنا أَنْ يواصِلَ تَقَدُّمَهُ، فالجِبالُ الشّاهِقَةُ تُحيطُ بِنا. هَكذا تُحَدِّثُنا جاجول السّاحِرَةُ العَجوزُ.»

ثُمَّ أَشارَ بِيَدِهِ إلى الأَرْضِ حَوْلَهُ، وقالَ: «اِسْتَقَرَّ شَعْبُنا هُنا وصارَ قَوِيًّا مَنيعَ الجانِبِ. واليَوْمَ إذا اسْتَدْعى المَلِكُ طوالا مُحارِبيهِ غَطّى ريشُ رُؤوسِهِمِ السَّهْلَ.»



قُلْتُ: «حَدِّثْني عَنْ طوالا.»

بَدا الحُزْنُ عَلى وَجْهِ إِنْفادوس وَهُوَ يُجيبُ قائِلًا: «حينَ تُوُفِّيَ والِدي تَوَلّى الحُكْمَ مِنْ بَعْدِهِ أَخي إيموتو. كانَ أَخي مَلِكًا صالِحًا، وكانَ لَهُ ابْنٌ يُسَمّى إِجْنوزي. وحينَ بَلَغَ إِجنوزي الثّالِثَةَ مِنْ عُمْرِهِ حَلَّتْ بِالبِلادِ مَجاعَةٌ، وتَمَلْمَلَ الشَّعْبُ. وقالَتْ جاجول، السّاحِرَةُ المُرْعِبَةُ: إِنَّ إيموتو لا يَصْلُحُ لِلحُكْمِ. ثُمَّ أَتَتْ بِطوالا، وَهُوَ أَيْضًا أخي، وأَرَتِ الشَّعْبَ عَلامَةَ الحَيَّةِ المُقَدَّسَةِ الَّتي تُحيطُ بِخَصْرِهِ، وصاحَتْ: هَذا هُوَ مَلِكُكُمْ.»

صَمَتَ إِنْفادوس بُرْهَةً، ثُمَّ تابَعَ كَلامَهُ قائِلًا: «قَتَلَ طوالا أخاه إيموتو، ونَصَّبَ نَفْسَهُ مَلِكًا.»

سَأَلَ السّير هَنْري: «ما الَّذي حَلَّ بِالصَّبِيِّ إِجْنوزي؟»

«أَخَذَتْهُ المَلِكَةُ وفَرَّتْ بِهِ إِلى خارِجِ البِلادِ. لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ شَيْئًا عَنْهُما بَعْدَ ذَلِكَ. لا بُدَّ أَنَّهُما ماتا.»

كانَ أُمْبوبا يُنْصِتُ بِاهْتِمامٍ، وقَدِ ارْتَسَمَ عَلى وَجْهِهِ تَعْبيرٌ غَريبٌ أَشَدَّ الغَرابَةِ.

وَصَلْنا في نِهايَةِ حَديثِنا إِلى القَرْيَةِ الَّتي يَعيشُ فيها إِنْفادوس.

أَرْسَلَ إنْفادوس مَنْ يُخْبِرُ بِوُصولِنا. وقَدْ بَدَتْ لَنا الآنَ مِنْ بَعيدٍ أَوَّلُ فِرْقَةٍ نَراها مِنْ مُحاربي الكوكْوانا. وَجَدْنا آلافًا مِنْهُمْ في انْتِظارِنا، فَوْقَ رَأْسِ كُلٍّ مِنْهُمْ ريشٌ أَسْوَدُ وحَوْلَ خَصْرِهِ طَوْقٌ. وكانوا حينَ نَمُرُّ مِنْ أَمامِهِمْ يَرْفَعونَ رِماحَهُمْ ويُحَيّونَنا بالتَّحِيَّةِ المَلَكِيَّةِ: «كُومْ!»

أَقَمْنا في القَرْيَةِ لَيْلَةً مُريحَةً. وفي صَبيحَةِ اليَوْمِ التّالي تابَعْنا مَسيرَتَنا عَبْرَ الطَّريقِ العَظيمَةِ إلى لُو، مَرْكَزِ طوالا الرَّئيسِيِّ. رَأَيْنا في طَريقِنا الكَثيرَ مِنَ المُحاربينَ يَتَجاوزونَنا مُسْرِعينَ. وقَدْ أَخْبَرَنا إنْفادوس أَنَّهُم مُنْطَلِقونَ إلى لُو لِيَشْتَرِكوا في



العَرْضِ العَسْكَرِيِّ السَّنَوِيِّ لِلجَيْشِ. لَمْ أَرَ في حَياتي مِثْلَ هَذا العَدَدِ مِنَ الجُنْدِ!

تَراءَتْ أَمامَنا مَدينَةُ لُو، مَقَرُّ المَلِكِ، فإذا هِيَ كَبيرَةٌ يَخْتَرِقُها نَهْرٌ. وبَدَتْ خَلْفَها جِبالٌ شاهِقَةٌ.

قالَ إنْفادوس: «الطَّريقُ العَظيمَةُ تَنْتَهي عِنْدَ تِلْكَ الجِبالِ المَليئَةِ بِالكُهوفِ والَّتي تُعْرَفُ بِاسْمِ السّاحِراتِ الثَّلاثِ. وبَيْنَ تِلْكَ الجِبالِ فَجْوَةٌ سَحيقَةٌ عَميقَةٌ تَحْرُسُها الأَرْواحُ. ولَقَدْ تَوَجَّهَ حُكَماءُ الأَيّامِ الغابِرَةِ إلى هُناكَ لِيَجْلِبوا ما جاؤوا هُنا مِنْ أَجْلِهِ.»



سَأَلْتُ بتَلَهُّفٍ: «ما الَّذي جاؤوا مِنْ أَجْلِهِ؟ الحِجارَةُ البَرّاقَةُ؟»

أَجابَ إنْفادوس: «لا أَسْتَطيعُ إجابَتَكَ. عَلَيْكَ، يا سَيِّدي، أَنْ تَسْأَلَ جاجولَ العَجوزَ.»

التَفَتُّ إلى أَصْحابي وقُلْتُ لَهُمْ: «كُنوزُ المَلِكِ سُلَيْمانَ في تِلْكَ الجِبالِ!»

أَسْرَعَ أُمْبوبا يَقولُ: «الماسُ هُناكَ، لا شَكَّ في ذَلِكَ.»

قُلْتُ بِجِدَّةٍ: «ما الَّذي يَجْعَلُكَ واثِقًا مِمّا تَقولُ؟»

ضَحِكَ ثُمَّ قالَ: «رَأَيْتُ ذَلِكَ في نَوْمي، أَيُّها الرَّجُلُ الأَبْيَضُ!» ثُمَّ اسْتَدارَ على عَقِبَيْه ومَضى.

وَصَلْنا لُو، وأُخِذْنا إلى ساحَةٍ واسِعَةٍ تَقَعُ أَمامَ سَقيفَةِ (ظُلَّةِ) المَلِكِ الضَّخْمَةِ. ورَأَيْنا أَمامَنا آلافًا مِنَ المُحارِبينَ واقِفينَ دونَ حَراكٍ وكَأَنَّهُمْ تَماثيلُ. خَرَجَ طوالا مِنْ سَقيفَتِهِ فإذا هُوَ رَجُلٌ ضَخْمٌ يَضَعُ على جَسَدِهِ جِلْدَ نَمِرٍ. وخَرَجَ وَراءَهُ ابْنُهُ سكراجا، وشَخْصٌ آخَرُ بَدا كَقِرْدٍ ذابِلٍ، يَلُفُّ جَسَدَهُ بِعَباءَةٍ مِنْ فَرْوٍ. تِلْكَ كانَتِ السّاحِرَةُ جاجول.

ضَجَّتِ السّاحَةُ بِالتَّحِيَّةِ المَلَكِيَّةِ «كُومْ!» ثُمَّ سادَ المَكانَ صَمْتٌ كَصَمْتِ الأَمْواتِ، إلى أَنْ صادَفَ أَنْ أَوْقَعَ أَحَدُ المُحارِبينَ دِرْعَهُ.

صاحَ طوالا في هِياجٍ شَديدٍ: «أُقْتُلوهُ!»

كَشَّرَ سكراجا عَنْ أَسْنانِهِ، ورَفَعَ رُمْحَهُ وقَذَفَ بِهِ المُحارِبَ المَنْكودَ الحَظِّ، فأَوْقَعَهُ صَريعًا. يا لَهَوْلِ ذَلِكَ! يا لَذَلِكَ الحاكِمِ الشِّرّيرِ!

اِلتَفَتَ طوالا إِلَيْنا بِوَجْهِهِ الوَحْشِيِّ، وقالَ: «ما الَّذي يَمْنَعُني مِنْ قَتْلِكُمْ، أَنْتُمْ أَيْضًا، يا أَبْناءَ النُّجومِ؟»





رَفَعْتُ بُنْدُقِيَّتي بِلَمْحِ البَصَرِ، وقُلْتُ لَهُ: «هَذِهِ تَمْنَعُكَ!» ثُمَّ صَوَّبْتُ البُنْدُقِيَّةَ إلى ثَوْرٍ قَريبٍ وأَطْلَقْتُ النّارَ.

فَجْأَةً، رَدَّتْ جاجول عَباءَتَها إلى الخَلْفِ، فَبَدَتْ عَجوزًا شَمْطاءَ. راحَتْ تَدورُ في المَكانِ قائِلَةً بِصَوْتٍ كالحَشْرَجَةِ:

«أَشْتَمُّ رائِحَةَ دَمٍ! أَيُّها الرِّجالُ البيضُ، لَقَدْ جِئْتُمْ سَعْيًا وَراءَ الماسِ. لَكِنْ مَنْ أَنْتَ يا ذا الهامَةِ العالِيَةِ؟» اِلتَفَتَتْ وَهِيَ تَقولُ ذَلِكَ إلى أُمْبوبا، ثُمَّ تابَعَتْ بِصَوتٍ نَفّاذٍ: «أنا أَعْرِفُكَ....اِخْلَعْ عَباءَتَكَ...»

لَمْ يَحْتَمِلْ جَسَدُها الهَزيلُ ما بَذَلَتْهُ مِنْ جَهْدٍ فوَقَعَتْ أَرْضًا.

وبَدا طوالا مُضْطَرِبًا وَهُوَ يَقولُ: «اِذْهَبوا في سَلامٍ.»

قُلْتُ لإنْفادوس، ونَحْنُ في الكوخِ الَّذي أُعْطيناهُ: «يَبْدو لَنا أَنَّ طوالا مَلِكٌ شَرِسٌ ظالِمٌ.»

أَحْنى إنْفادوس رَأْسَهُ وقالَ: «إِنَّهُ ظالِمٌ حَقًّا، يا سادَتي. هَذِهِ اللَّيْلَةَ سَتَشْهَدونَ احْتِفالًا مُرَوِّعًا. سَتخْتارُ جاجول، في أَثْناءِ الاِحْتِفالِ، أُناسًا لِقَتْلِهِمْ، وسيَكونُ مِنْ بَيْنِ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِم الاِخْتِيارُ أولئِكَ الَّذينَ يَخافُهُمُ المَلِكُ أَوْ يُريدُ أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْهُمْ شَيْئًا يَخُصُّهُمْ.

ما مِنْ أَحَدٍ يَأْمَنُ على حَياتِهِ هُنا. لَقَدْ ضَجَّ الشَّعْبُ مِنْ أَساليبِ طوالا الوَحْشِيَّةِ.»



سَأَلَ جود: «لِمَ لا يُسْقِطونَ حُكْمَهُ؟»

«سَيَحُلُّ مَحَلَّهُ ابْنُهُ سكراجا، وقَلْبُهُ أَشَدُّ سَوادًا مِنْ قَلْبِ أَبيهِ. لَيْتَ إيموتو أَوِ ابْنَهُ كان حَيًّا!»

اِنْتَصَبَ أُمْبوبا بِقامَتِهِ الفارِعَةِ وقالَ بِصَوْتٍ هادِئٍ عَميقٍ، مُوَجِّهًا كَلامَهُ إلى إنْفادوس: «إجْنوزي لَمْ يَمُتْ. اُنْظُرْ، سأُريكَ، يا عَمّي.»

ورَمى عَنْهُ جِلْدَ النَّمِرِ، فانْكَشَفَ حَوْلَ خَصْرِهِ وَشْمُ حَيَّةٍ زَرْقاءِ اللَّوْنِ. حَدَّقَ إنْفادوس ذاهِلًا، ثُمَّ ارْتَمى أَرْضًا، وهَتَفَ:

«كُومْ! كُومْ! أَنْتَ ابْنُ أَخي. أَنْتَ المَلِكُ!»

أَمْسَكَ أُمْبوبا بِعَمِّهِ، وقالَ: «اِنْهَضْ، يا عَمّي. ما صِرْتُ مَلِكًا بَعْدُ. لَكِنْ، هَلْ لَكَ أَنْ تُساعِدَني أَنْتَ وهَؤلاءِ البيضُ البَواسِلُ، عَلى قَلْبِ حُكْمِ ذَلِكَ الطّاغِيَةِ؟»

صِحْنا جَميعًا: «سنُساعِدُكَ!» ووَعَدَ إنْفادوس أَنْ يُجَنِّدَ، لِهَذِهِ الغايَةِ، عِشْرينَ أَلْفَ مُحارِبٍ.

اِلتَفَتَ أُمْبوبا، أَوْ عَلى الأَصَحِّ إجْنوزي، إلَيْنا، وقالَ: «إذا ساعَدْتُموني فَما الَّذي أُقَدِّمُهُ لَكُمْ؟ الحِجارَةُ البَرّاقَةُ - سأُقَدِّمُها لَكُمْ.»



رَدَّ السّير هَنْري قائِلًا: «سنُساعِدُكَ، يا أُمْبوبا، ولا شَأْنَ لِلْماسِ في ذَلِكَ. فأَنْتَ تَعْلَمُ أَنّا جِئْنا إلى هُنا بَحْثًا عَنْ أَخي. فَهَلْ رَآهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البِلادِ؟»

قالَ إنْفادوس: «لَمْ تَطَأْ قَدَما رَجُلٍ أَبْيَضَ أَرْضَنا. لو حَدَثَ ذَلِكَ لَعَرَفْتُ بِهِ.»

هَزَّ السّير هَنْري رَأْسَهُ حُزْنًا، وقالَ:

«يا لَأخي المِسْكين: لَقَدْ ضاعَتْ مَشَقّاتُ رِحْلَتِنا هَباءً.»



في تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَضَرْنا احْتِفالَ المَوْتِ المُرَوِّعَ. فَقَدِ اصْطَفَّ آلافُ المُحارِبينَ، كَغابَةٍ مَغْمورَةٍ بِضَوْءِ القَمَرِ. وشَرَعَتِ السّاحِرَةُ الشِّرّيرَةُ تَدورُ في السّاحَةِ تَرْقُصُ رَقْصًا مُرْعِبًا. ثُمَّ راحتْ تَقولُ بِصَوْتٍ كفَحيحِ الأَفْعى:

«أَشْتَمُّ رائِحَةَ شِرّيرٍ.» ثُمَّ أَشارَتْ إلى أَحَدِ الرِّجالِ مُرْسِلَةً إيّاهُ إلى المَوْتِ. وتَسارَعَتْ رَقْصَتُها، وراحَتْ تُشيرُ بِيَدِها إلى واحِدٍ بَعْدَ الآخَرِ. وكانوا جَميعًا يُقْتَلون. أَخيرًا اتَّجَهَتْ في رَقْصَتِها نَحْوَنا.



دَبَّ الهَلَعُ في قَلْبِ جود فصاحَ: «ستُجَرِّبُ ألاعيبَها مَعَنا!»

لَكِنَّها لَمَسَتْ إجْنوزي قائِلَةً: «الشَّرُّ يَمْلَأُهُ. اُقْتُلوهُ!»

سَدَّدْتُ بُنْدُقِيَّتي إلى صَدْرِ طوالا، وصِحْتُ: «ابْتَعِدوا، وإلّا قَتَلْتُ طوالا.»

صاحَ طوالا في ذُعْرٍ: «أَبْعِدْ أُنْبوبَكَ السِّحْرِيَّ عَنّي. فالرَّقْصُ انْتَهى!»

عُدْنا إلى كوخِنا غَيْرَ مُصَدِّقينَ أَنّنا نَجَوْنا. ثُمَّ جاءَنا إنْفادوس بِرِفْقَةِ سِتَّةٍ مِنْ زُعَماءِ البِلادِ. أَراهُمْ إجْنوزي وَشْمَ الحَيَّةِ المَلَكِيَّ، فَتَفَحَّصوهُ بِإمْعانٍ. أَخيرًا تَكَلَّمَ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا قائِلًا:

«البِلادُ تَضِجُّ مِنْ وَحْشِيَّةِ طوالا. لَكِنْ كَيْفَ لَنا أَنْ نَتَأَكَّدَ أَنَّ هَذا الرَّجُلَ هُوَ مَلِكُنا الحَقيقيُّ؟ فَوَشْمُ الحَيَّةِ غَيْرُ كافٍ. ولَنْ نُقاتِلَ طوالا إلّا إذا لَمَسْنا آيَةً.»

نَقَلْتُ إلى صَحْبي ما قالَ كَبيرُ القَوْمِ، فهَتَفَ جود: «عِنْدي ما يَطْلُبونَ!» ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ حاجاتِهِ تَقْويمًا، وقالَ: «لاحَظْتُ أَنَّ خُسوفًا لِلقَمَرِ سيَقَعُ غَدًا مَساءً في هذا الجانِبِ مِنَ الأَرْضِ. فَقُلْ لَهُمْ إنّنا سَنَحْجُبُ غَدًا القَمَرَ! أنا واثِقٌ مِنْ زَمَنِ الخُسوفِ كُلَّ الثِّقَةِ، فقَدْ دَقَّقْتُ في حِساباتي مِرارًا.»





اِلْتَفَتُّ إلى الزُّعَماءِ وقُلْتُ لَهُمْ: «فَلْيَكُنْ لَكُمْ ما تُريدونَ. غَدًا سَنَحْجُبُ القَمَرَ. سيَعُمُّ الظَّلامُ الحالِكُ الأَرْضَ فيَكونُ في ذَلِكَ آيَةٌ عَلى أَنَّ إجْنوزي ابْنُ مَلِكٍ!»

قالَ إنْفادوس: «هَذِهِ آيَةٌ دامِغَةٌ. غَدًا، وبَعْدَ ساعَتَيْنِ مِنْ غِيابِ الشَّمْسِ، يَبْدأُ حَفْلُ «رَقْصَةِ العَذارى»، وفيه تَرْقُصُ الفَتَياتُ، ويَقومُ طوالا باخْتِيارِ أَجْمَلِهِنَّ لِتَقْديمِها قُرْبانًا إلى الأَرْواحِ. فَلْتَحْجُبوا، يا سادَتي، القَمَرَ فتُنْقِذوا حَياتَها. عِنْدَئِذٍ سيُصَدِّقُ النّاسُ دَعْواكُمْ.»



في مَساءِ اليَوْمِ التّالي حَضَرْنا حَفْلَ «رَقْصَةِ العَذارى» السَّنَوِيَّ. وكانَ على رَأْسِ كُلِّ فَتاةٍ إكليلٌ مِنَ الزَّهَرِ. وبَدا المَشْهَدُ في ضَوْءِ القَمَرِ بَديعًا. أَخيرًا أَشارَ طوالا إلى صَبِيَّةٍ جَميلَةٍ وقالَ:

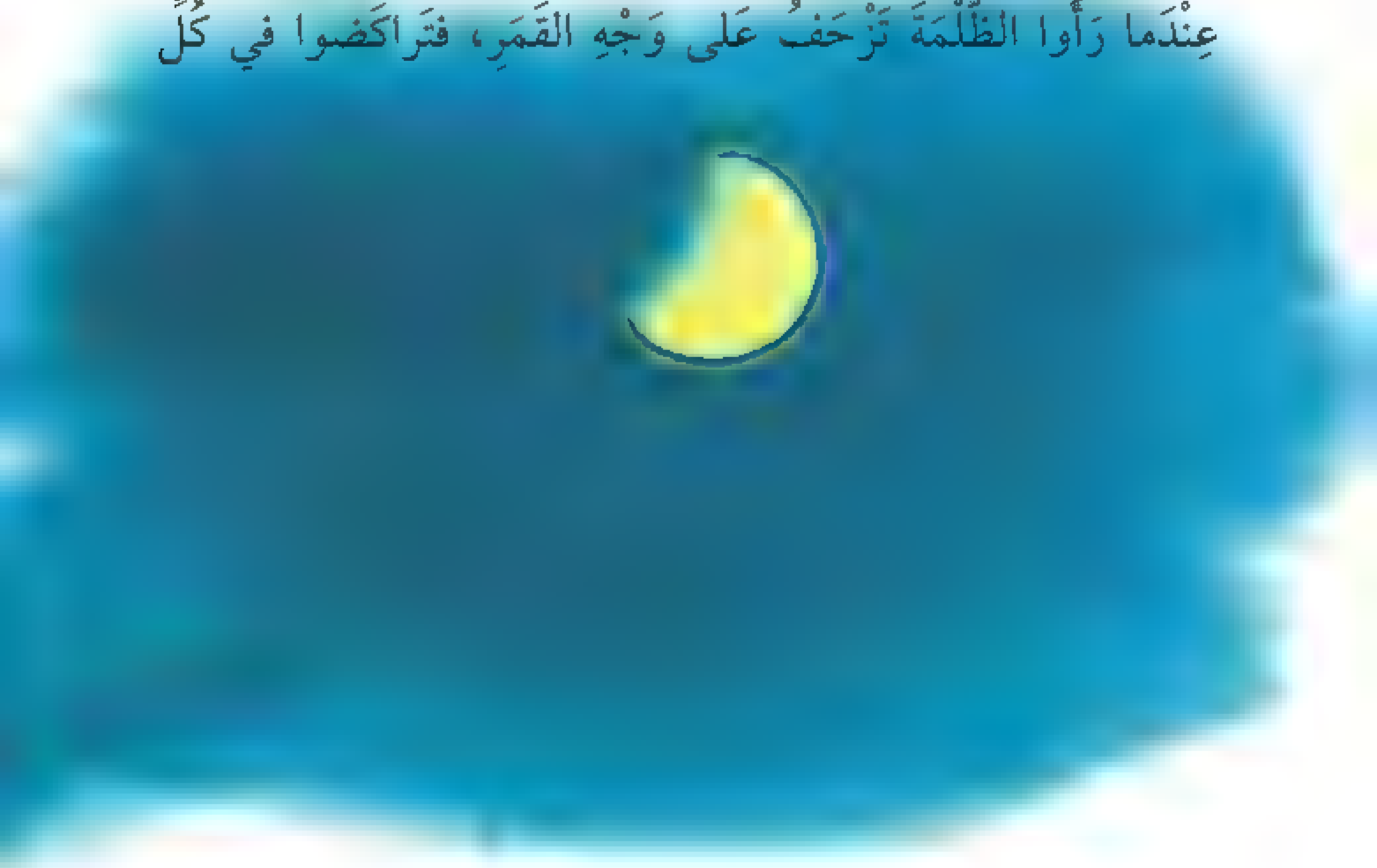
«فولاطا أَجْمَلُهُنَّ! فولاطا تَموتُ.»

رَفَعَ سكراجا رُمْحَهُ عالِيًا. لَمْ يَحْتَمِلْ جود المَوْقِفَ، فَقَفَزَ وانْتَصَبَ بِقامَتِهِ أَمامَ فولاطا المَذْعورَةِ، وصاحَ: «قِفْ!»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بَدأَ الخُسوفُ يَزْحَفُ عَلى القَمَرِ، فَصَدَرَتْ مِنّي صَيْحَةٌ، ورَفَعْتُ يَدي مُشيرًا إلى السَّماءِ.

صَرَخْتُ: «اُنْظُروا! نَحْنَ البيضَ أبناءَ النُّجومِ، قادرون عَلى حَجْبِ القَمَرِ. اُتْركوا فولاطا!»

ضَجَّ الجُمْهورُ كُلُّهُ بِصَيْحَةِ انْدِهاشٍ وذُهولٍ. ثُمَّ دَبَّ فيهِم الفَزَعُ عِنْدَما رَأَوا الظُّلْمَةَ تَزْحَفُ عَلى وَجْهِ القَمَرِ، فتَراكَضوا في كُلِّ



اتِّجاهٍ هارِبينَ. ورَأَيْنا سكراجا، مَدْفوعًا بِخَوْفِهِ أَوْ بِهياجِهِ وغَيْظِهِ، يَرْمي نَفْسَهُ ناحِيَةَ السّير هَنْري، وَهُوَ يُلَوِّحُ بِرُمْحِهِ ويَصيحُ:

«قَتَلْتُمُ القَمَرَ!»

نَشِبَ بَيْنَ الرَّجُلَيْن قِتالٌ قَصيرٌ سَقَطَ عَلى أَثَرِهِ سكراجا قَتيلًا. وبَدا لِأولَئِكَ النّاسِ أَنَّ الظِّلَّ الشَّيْطانِيَّ سيَبْتَلِعُ القَمَرَ. وفَرَّ طوالا نَفْسُهُ معَ الفارّينَ. ولَمْ يَبْقَ مَعَنا إلّا إنْفادوس وفولاطا والزُّعَماءُ السِّتَّةُ.

قالَ إنْفادوس: «هَيّا بِنا، لَقَدْ أُعْطينا الإشارَةَ الَّتي طَلَبْنا. فَلْنَمْضِ إلى مَكانٍ نَجْمَعُ فيهِ رِجالَنا.»

تَرَكْنا لُو لَيْلًا تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ الحالِكِ. وجَمَعْنا المُحارِبينَ فَوْقَ تَلَّةٍ مُنْبَسِطَةٍ بَيْضَوِيَّةِ الشَّكْلِ (عَلَى شَكْلِ حَدْوَةِ الفَرَسِ). لَقَد ارْتَأَيْنا أَنْ نُقابِلَ جُنْدَ المَلِكِ في ذَلِكَ المَكانِ. وعِنْدَما أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ خاطَبَ إجْنوزي رِجالَهُ قائِلًا:

«أَنا المَلِكُ الشَّرْعِيُّ. مَنْ مِنْكُمْ يُؤَيِّدُني؟»

فارْتَفَعَتِ الرِّماحُ وضَجَّتِ الحَناجِرُ بِالتَّحِيَّةِ المَلَكِيَّةِ: «كُومْ!»



بَدأَ الهُجومُ الأَوَّلُ، وراحَتْ أَمْواجٌ مِنَ المُقاتِلينَ تَتَدافَعُ كَرًّا وفَرًّا عَلى سُفوحِ التَّلَّةِ. ودافَعَ مُقاتِلونا دِفاعًا شَرِسًا اضْطُرَّ مَعَهُ رِجالُ طوالا إلى التَّراجُعِ. لَكِنّا كُنّا نَرى خَلْفَ أولَئِكَ المُتَقَهْقِرينَ صُفوفًا مِنَ الرِّجالِ تَتَقَدَّمُ مِنْ بَعيدٍ لِتَدْخُلَ المَعْرَكَةَ. وكانَ لا بُدَّ مِنْ وَضْعِ خُطَّةٍ لِمَعْرَكَةِ اليَوْمِ التّالي الحاسِمَةِ، وإلّا فالهَزيمَةُ واقِعَةٌ. فأَعَدَّ إجْنوزي الخُطَّةَ المُناسِبَةَ.

قالَ بِصَوْتٍ واثِقٍ: «سأَسْحَقُ طوالا هَذا اليَوْمَ!» ثُمَّ شَرَحَ خُطَّتَهُ.

كانَتِ الخُطَّةُ تَقْضي أَنْ يَتَوَلّى إنْفادوس فِرْقَةً يَقودُها إلى عُنُقِ الوادي الضَّيِّقِ بَيْنَ طَرَفَيِ التَّلَّةِ النِّصْفِيَّةِ الشَّكْلِ، فَيُرْسِل طوالا قُوّاتِهِ



لِلقَضاءِ عَلى إنْفادوس ورِجالِهِ. لَكِنّ ضيقَ المَمَرِّ لا يَسْمَحُ إلّا بِاشْتِباكِ عَدَدٍ قَليلٍ مِنَ المُحارِبينَ. وستكونُ فِرَقُنا الأُخْرى رابِضَةً عَلى سُفوحِ التَّلَّةِ، وسَنَنْقَضُّ عَلى أَعْدائِنا مِنَ الجانِبَيْنِ، فنَأْخُذُهُمْ عَلى حينِ غِرَّةٍ، ونُوْقِعُهُمْ في الفَخِّ.

وخَتَمَ إجْنوزي كَلامَهُ قائلًا: «سَيكونُ يَوْمُنا هَذا عَظيمًا!»

إنّ سَرْدَ ما حَدَثَ في المَوْقِعَةِ الحاسِمَةِ الَّتي وَقَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ لا طاقَةَ لي عَلَيْهَ. حارَبْتُ إلى جانِبِ إنْفادوس ومُقاتِليهِ، في وَجْهِ رِجالِ طوالا الَّذينَ كانوا يُهاجِمونَ عُنُقَ الوادي. ولا أَذْكُرُ مِنْ هَذِهِ اللَّحَظاتِ الرَّهيبَةِ غَيْرَ أَنَّ الأَرْضَ كانَتْ تَهْتَزُّ تَحْتَ قَدَمَيَّ، وأَنَّني كُنْتُ أَسْمَعُ أَزيزَ الحِرابِ وَهِيَ تَتَوالى وَمّاضَةً مِنْ حَوْلي.



تَعالَتْ صَيْحاتُ الفَزَعِ مِنْ أَعْدائِنا. رَفَعْتُ رَأْسي، فَرَأَيْتُ المَكانَ يَضيقُ بِالمُقاتِلينَ ذَوي الرّيشِ الأَسْوَدِ وَهُمْ يَنْقَضّونَ مِنَ الجانِبَيْنِ الأَيْمَنِ والأَيْسَرِ. وسُرْعانَ ما حوصِرَ رِجالُ طوالا، وبَدا واضِحًا أَنَّ المَعْرَكَةَ لَنْ تَدومَ أَكْثَرَ مِنْ دَقائِقَ. فَقَدْ أُخِذَ طوالا عَلى حينِ غِرَّةٍ فانْهارَ رِجالُهُ ووَلَّوا الأَدْبارَ.

كانَ لا يَزالُ أَمامَ إِجْنوزي أَنْ يُقَرِّرَ مَصيرَ طوالا الَّذي وَقَعَ أَسيرًا.

قالَ طوالا بِصَوْتٍ ساخِرٍ مُتَحَدٍّ: «أَيُّها المَلِكُ، ما أَعْدَدْتَ لي مِنْ مَصيرٍ؟»

أَجابَ إِجْنوزي: «المَصيرُ نَفْسُهُ الَّذي أَعْدَدْتَهُ لِأَبي.»

أَشارَ طوالا إِلى السّير هَنْري وقالَ بِصَوْتٍ غاضِبٍ: «أُطالِبُ بِحَقّي في أَنْ أَموتَ مِيتَةَ مُحارِبٍ. لَقَدْ قَتَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ابْني – سأُقاتِلُهُ.»

وَقَفْنا نُراقِبُ، بَيْنَما راحَ الرَّجُلانِ العِمْلاقانِ يُمْطِرانِ أَحَدُهُما الآخَرَ بِالضَّرَباتِ العَنيفَةِ. وتَعاظَمَتْ حَماسَتُنا المَشوبَةُ (المُخْتَلِطَةُ) بالقَلَقِ، فأَغْلَقْتُ عَيْنَيَّ غَيْرَ قادِرٍ عَلى مُتابَعَةِ المَشْهَدِ المُخيفِ. اِنْتَهى أَخيرًا الصِّراعُ بِسُقوطِ طوالا المُرْعِبِ. وصارَ إِجْنوزي مَلِكًا غَيْرَ مُنازَعٍ!

بايَعَ شَعْبُ كوكْوانا مَلِكَهُ الجَديدَ. فأَعْلَنَ المَلِكُ زَوالَ حَفَلاتِ المَوْتِ الَّتي يُقْتَلُ فيها أُولَئِكَ الَّذينَ يَقَعُ عَلَيْهِم اخْتِيارُ السَّحَرَةِ. وقالَ إِنَّهُ لَنْ يَموتَ إِنْسانٌ إِلّا إِذا حوكِمَ مُحاكَمَةً عادِلَةً.

ثُمَّ أَعْلَمْنا إجْنوزي، فيما بَعْدُ، بِرَغْبَتِنا في كَشْفِ سِرِّ كُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ.

فَرَدَّ إجْنوزي قائلًا: «يَعْتَقِدُ شَعْبي أَنَّ المُجَوْهَراتِ مَدْفونَةٌ في غُرْفَةٍ سِرِّيَّةٍ في قَلْبِ الجَبَلِ. ولَيْسَ مِنْ أَحَدٍ قادِرًا عَلى إيْصالِكُمْ إلى هُناكَ إلّا جاجول - لَقَدْ أَبْقَيْتُ عَلى حَياتِها لِهَذِهِ الغايَةِ.»

بَعْدَ أَيّام، كُنّا قَدْ وَصَلْنا إلى نِهايَةِ طَريقِ سُلَيْمانَ. وكانَتْ جَماعَتُنا تَتَأَلَّفُ مِنّا نَحْنُ الثَّلاثَة، ومِنْ إنْفادوس، والصَّبِيَّةِ فولاطا الَّتي أَصَرَّتْ بَعْدَ إنْقاذِنا لَها عَلى أَنْ تَكونَ مَعَنا دائمًا، ومِنْ جاجول الشِّرّيرَةِ النّاقِمَةِ. ولَنْ أَنْسى ما حَييتُ مَشْهَدَ جِبالِ السّاحِراتِ الثَّلاثِ، والفَجْوَةِ السَّحيقَةِ العَميقَةِ بَيْنَها.



هَتَفْتُ قائلًا: «أَتَدْرونَ سِرَّ هَذِهِ الفَجْوَةِ؟ إِنَّها حَفْرِيّاتُ ماسٍ. لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ في أَماكِنَ أُخْرى.»

وعَلى حافَّةِ الفَجْوَةِ ارْتَفَعَتْ نُصُبٌ ثَلاثَةٌ عِمْلاقَةٌ لِلأَرْواحِ الَّتي تَحْرُسُ مَدْخَلَ كُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ. رَمَقَتْنا جاجول بِنَظْرَةٍ ماكِرَةٍ، ثُمَّ دَخَلَتْ بِمِشْيَتِها العَرْجاءِ شِقًّا ضَيِّقًا في جانِبِ الجَبَلِ.

قالَتْ بِصَوْتٍ كالفَحيحِ: «سأُريكُمُ الحِجارَةَ البَرّاقَةَ.»

تَبِعْنا كُلُّنا جاجول، باسْتِثْناءِ إِنْفادوس الَّذي خَلَّفْناه وَراءَنا لِيُقيمَ لَنا مُخَيَّمًا.

سِرْنا طَويلًا في قَلْبِ الجَبَلِ، إِلى أَنْ تَوَقَّفَتْ جاجول، أَخيرًا، أَمامَ جِدارٍ مِنَ الصَّخْرِ الصَّلْدِ. وقامَتِ السّاحِرَةُ العَجوزُ بِدَفْعِ الجِدارِ بِحَرَكاتٍ سِرِّيَّةٍ فَتَحَرَّكَ الصَّخْرُ وانْفَتَحَ أَمامَنا بابٌ عَظيمٌ.

دَخَلْنا البابَ فوَجَدَنا أَنْفُسَنا في مَمَرٍّ آخَرَ. ووَجَدْنا في نِهايَةِ ذَلِكَ المَمَرِّ بابًا خَشَبِيًّا ذا نَقْشٍ. تَمَلَّكَ فولاطا الخَوْفُ فامْتَنَعَتْ عَنْ تَجاوُزِ البابِ، وعادَتْ إِلى خارِجِ المَدْخَلِ الصَّخْرِيِّ.

أَمّا نَحْنُ فدَخَلْنا. أَشْعَلَ السّير هَنْري قِنْديلَهُ، فانْكَشَفَتْ أَمامَنا غُرْفَةٌ مَليئَةٌ بِالصَّناديقِ الحَجَرِيَّةِ. كانَ بَعْضُ تِلْكَ الصَّناديقِ مَليئًا بِقِطَعِ النَّقْدِ الذَّهَبِيَّةِ، أَمّا أَكْثَرُها فكانَ مَليئًا بِالماسِ. أَحْسَسْتُ أَنَّ صَوْتي لا يُسْعِفُني وأَنا أُحاوِلُ أَنْ أَقولَ: «نَحْنُ أَغْنى رِجالِ الأَرْضِ!»



راحَتْ جاجول تَدورُ في القاعَةِ بِمِشْيَتِها العَرْجاءِ ثُمَّ قالَتْ: «هَذِهِ هِيَ الحِجارَةُ البَرّاقَةُ الّتي تُحِبّونَ. كُلوا مِنْها واشْرَبوا.»

لم نُعِرْ كلامَها اهْتِمامًا، ولَمْ نَرَ النَّظْرَةَ الشِّرّيرَةَ في عَيْنَيْها وَهِيَ تَنْسَلُّ مُبْتَعِدَةً عنّا.



سَمِعْنا صَوْتَ فولاطا تَصْرُخُ فَجْأَةً: «الجِدارُ يَنْغَلِقُ! النَّجْدَةَ! لَقَدْ طَعَنَتْني.»

أَسْرَعْنا نَتَراكَضُ في المَمَرِّ، فرَأَيْنا فولاطا وجاجول تَتَصارَعانِ، بَيْنَما كانَ البابُ الصَّخْرِيُّ يَنْزِلُ مُغْلِقًا المَدْخَلَ. كانَ جُرْحُ فولاطا بَليغًا وسُرْعانَ ما تَهاوَتْ على الأَرْضِ. فأَسْرَعَتْ جاجول وَسْطَ

فَحيحِها القَبيحِ تُحاوِلُ كالحَيَّةِ الإنْسِلالَ مِنَ الشَّقِّ الضَّيِّقِ قَبْلَ انْغِلاقِ البابِ الصَّخْرِيِّ انْغِلاقًا تامًّا. ولَكِنَّها أَخْفَقَتْ وانْغَلَقَ البابُ فَوْقَ جَسَدِها. حَدَثَ ذَلِكَ كُلُّهُ في ثَوانٍ.

بَدا السّير هَنْري حَزينًا وَهُوَ يَقول: «مِسْكينَةٌ فولاطا! ومَساكينُ نَحْنُ فَقَدْ دُفِنّا أَحْياءً.»

وكانَ عَلى حَقٍّ. لا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِرَّ البابِ الصَّخْرِيِّ إلّا جاجول، وها هِيَ قَدْ ماتَتْ تَحْتَهُ. حاوَلْنا كَثيرًا العُثورَ على المَوْقِعِ الَّذي يُحَرِّكُ البابَ، ولَكِنْ عَبَثًا حاوَلْنا.

قُلْتُ أَخيرًا: «لا بُدَّ أَنَّ البابَ يَنْفَتِحُ مِنَ الخارِجِ، وإلّا ما مَعنى أَنْ تُخاطِرَ جاجول بِحَياتِها زاحِفَةً تَحْتَ الحَجَرِ السّاقِطِ.»



تَعْجِزُ الكَلِماتُ عَنْ وَصْفِ الرُّعْبِ الَّذي دَبَّ فينا طَوالَ ذَلِكَ اليَوْمِ. إذْ سُرْعانَ ما انْطَفَأَ القِنْديلُ وغَرِقْنا في ظَلامٍ دامِسٍ، في غُرْفَةٍ مَليئَةٍ بِجَواهِرَ لا فائِدَةَ مِنْها. أَدْرَكْنا عِنْدَ ذاكَ مَعْنى كَلِماتِ جاجول حينَ دَعَتْنا إلى اتِّخاذِ الجَواهِرِ طَعامًا وشَرابًا!



لَكِنْ بَعْدَ وَقْتٍ حَسِبْناهُ دَهْرًا، لاحَظْنا أَنَّ الهَواءَ كانَ لا يَزالُ نَقِيًّا. رُحْنا نَبْحَثُ عَنْ مَجْرى الهَواءِ بَحْثًا مَحْمومًا، فَوَجَدْناهُ في زاوِيَةٍ بَعيدَةٍ مِنْ زَوايا القاعَةِ. أَشْعَلْتُ واحِدًا مِنْ عيدان الثِّقابِ القَليلَةِ المُتَبَقِّيَةِ مَعَنا فانْكَشَفَ أمامَنا بابٌ خَفِيٌّ. دَفَعْنا البابَ، وأَشْعَلْنا عودَ ثِقابٍ آخَرَ فانْكَشَفَ أَمامَنا سُلَّمٌ يَتَّجِهُ إلى أَسْفَلُ.

قالَ السّير هَنْري: «أَنا أَنْزِلُ أَوَّلًا!» نَزَلَ وتَبِعَهُ جود دونَ إبْطاءٍ. ثُمَّ تَبِعْتُهُما، ولَكِنْ بَعْدَ أَنْ مَلأْتُ جُيوبي بِالماسِ.



بَدَأْنا عِنْدَئِذٍ رِحْلَةً يائِسَةً، فَقَدْ قادَنا السُّلَّمُ إلى سِلْسِلَةٍ مِنَ الأَنْفاقِ المُلْتَوِيَةِ، رُحْنا نَتَخَبَّطُ في مجاهِلِها وقَدْ نالَ مِنّا اليَأْسُ والإرْهاقُ. أَخيرًا رَأَيْنا شُعاعًا مِنْ ضَوْءِ النَّهارِ. وضاقَ النَّفَقُ وغَدا تُرابِيًّا لا صَخْرِيًّا. فحَشَرْنا أَنْفُسَنا وجاهَدْنا حَتّى خَرَجْنا إلى الخَلاصِ، ورَأَيْنا أَنّا نَتَدَحْرَجُ ونَتَدَحْرَجُ عَلى مُنْحَدَرٍ مِنَ التُّرابِ النّاعِمِ الرَّطْبِ.

رَأَيْنا إِنْفادوس يَنْدَفِعُ صُعُدًا نَحْوَنا وَهُوَ يَصيحُ: «آهِ، يا سادَتي – ها أَنْتُمْ تُبْعَثونَ أَحْياءً!»

لَمْ نَتَمَكَّنْ بَعْدَ ذلِكَ مِنَ العُثورِ عَلى قاعَةِ المُجَوْهَراتِ. أَخيرًا وَدَّعْنا أَصْدِقاءَنا في مَمْلَكَةِ كوكْوانا، وتَرَكْنا بِلادَهُمُ الجَميلَةَ.



الآنَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الجانِبِ الأَغْرَبِ في حِكايَتي. فَقَدْ أَرانا إِنْفادوس مَمَرًّا جَبَلِيًّا مُخْتَصَرًا نَسْلُكُهُ في طَريقِ عَوْدَتِنا مِنْ بِلادِ كوكْوانا. وما إِنْ سِرْنا بِضْعَةَ كيلومِتْراتٍ في ذَلِكَ المَمَرِّ حَتّى وَجَدْنا واحَةً. وعِنْدَ تِلْكَ الواحَةِ وَجَدْنا رَجُلًا أَبْيَضَ!

صاحَ السّير هَنْري بِفَرَحٍ غامِرٍ: «يا إِلَهي! هَذا أَخي!»

وكانَ حَقًّا أَخاهُ. رَآنا الرَّجُلُ، فصاحَ مُلَوِّحًا بِيَدِهِ، وأَسْرَعَ نَحْوَنا مُعْتَمِدًا على عَصًا. وتَعانَقَ الأَخَوانِ عِناقًا حَميمًا، وقَدْ زالَ ما كانَ بَيْنَهُما مِنْ خِصامٍ.

قالَ جورج كورتِس: «حاوَلْتُ أَنْ أَجْتازَ الجَبَلَ، لَكِنّي كَسَرْتُ ساقي. فَلَمْ أَسْتَطِعْ بَعْدَ ذَلِكَ مُتابَعَةَ السَّيْرِ أَوِ العَوْدَةَ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ!»

هُنا تَأْتي خاتِمَةُ قِصَّتي، فَقَدِ اجْتَزْنا الصَّحْراءَ بِسَلامٍ، رُغْمَ أَنَّهُ كانَ عَلَيْنا أَنْ نُساعِدَ جورْج كورْتِس طَوالَ الوَقْتِ. ووَصَلْنا أَخيرًا إِلى بَيْتي في دُرْبان. وَتَرَكَني أَصْدِقائي عائدينَ إِلى إِنْجِلْترا.

لَكِنّي سأَراهُمْ قريبًا، فَقَدْ تَسَلَّمْتُ رِسالَةً مِنَ السّير هَنْري يَطْلُبُ مِنّي فيها الذَّهابَ إِلَيْه في إِنْجِلْترا. وقَدْ كانَتِ الجَواهِرُ الَّتي حَمَلْتُها مَعي مِنْ كُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ قَدْ فُحِصَتْ في لَنْدَن، فإِذا هِيَ مِنْ أَفْضَلِ أَنْواعِ الماسِ. لَقَدْ أَصْبَحْنا كُلُّنا مِنَ الأَثْرِياءِ!

تَسْعى مَكْتَبَةُ لُبْنان مِنْ خِلالِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ إلى تَعْريفِ الفَتى العَرَبِيِّ بِروائِعِ الأَدَبِ العالَمِيِّ، وإعْدادِهِ لِلدُّخولِ، فيما بَعْدُ، في عالَمِ القِصَصِ الخالِدَةِ مِنْ بابِهِ الواسِعِ. إنَّنا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ أَبْنائِنا أَنْ يُكَوِّنوا فِكْرَةً صَحيحَةً شامِلَةً عَنْ نِتاجِ القِصَصِ الذّائِعَةِ الصِّيتِ في مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ الأَرْضِ.

عَلى أَنَّنا نَثِقُ أَنَّ هَذِهِ القِصَصَ تَصْلُحُ، بِالشَّكْلِ الَّذي نُقَدِّمُها فيهِ، لِلْكِبارِ أَيْضًا، لِأَنَّنا حَرِصْنا عَلى أَلّا نَنْتَقِصَ مِنْ جَوْهَرِ الفِكْرَةِ الَّتي يَقومُ عَلَيْها العملُ ومِنْ بناءِ الشَّخْصِيّاتِ كما أرادَها المُؤَلِّفونَ.

وحَرِصْنا عَلى المُحافَظَةِ عَلى عَناوينِ الكُتُبِ الأَصْلِيَّةِ وكَذَلِكَ عَلى أَسْماءِ الأَعْلامِ والأماكِنِ، كَما وَرَدَتْ في الأَصْلِ، رَغْبَةً في إعْطاءِ صورَةٍ حَقيقِيَّةٍ عَنِ الجَوِّ العامِّ لِلْقِصَصِ، مِنْ حَيْثُ المَكانُ والأَوْضاعُ الِاجْتِماعِيَّةُ والأَحْداثُ التاريخِيَّةُ، وخِدْمَةً لِلْهَدَفِ الَّذي نَسْعى إلَيْهِ وهُوَ تَمْهيدُ الطَّريقِ لِلتَّعَرُّفِ إلى الأَدَبِ العالَمِيِّ. عَلى أَنَّنا

تجَنَّبْنا الخَوْضَ في تَفاصيلِ الأَسْماءِ الَّتي لا تَتَعَلَّقُ مُباشَرَةً بِصُلْبِ المَوْضوعِ ولا تُؤَثِّر عَلى سَيْرِ الأَحْداثِ، وذلِكَ لِكَيْ لا نُرْبِكَ القارِئَ العَرَبِيَّ بأسْماءٍ ثانَوِيَّةِ الأَهَمِّيَّةِ، غَريبَةِ اللَّفْظِ قَليلَةِ التَّواتُرِ.

وتَمْتازُ هَذِهِ القِصَصُ كُلُّها بِأَنَّها شَديدَةُ التَّشْويقِ، وتَقومُ في غالِبِها عَلى المُغامَراتِ المُثيرَةِ. وأَكْثَرُ هذِهِ القِصَصِ المُخْتارَةِ كُتِبَتْ أَصْلًا لِتُرضيَ جُمْهورَ الشَّبابِ، وَهِيَ مِنْ هَذِهِ النّاحِيَةِ تُرْضي مَشاعِرَهُمْ ومَبادِئَهُمْ وحُبَّهُمْ لِلانْطِلاقِ واكْتِشافِ المَجْهولِ.

إنَّ هَذِهِ القِصَصَ جَميعَها، وإنْ تَكُنْ في غالِبِها تَقومُ عَلى حُبِّ المُغامَرَةِ، تَتَناوَلُ أَصْدَقَ المَشاعِرِ الإنْسانِيَّةِ، وتُصَوِّرُ كِفاحَ الإنْسانِ لِتَحْقيقِ مُثُلِهِ العُلْيا دونَ أنْ يَعْبَأَ بالتَّضْحياتِ.

وزُوِّدَتْ كُتُبُ السِّلْسِلَةِ جَميعُها بِمُقدِّماتٍ تُعَرِّفُ بالمُؤَلِّفِ كما زُوِّدَتْ بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ رائِعَةٍ تُضْفي جَوًّا مِنَ السِّحْرِ على أَحْداثِ القِصَصِ، وتُصَوِّرُ الخَلْفِيّاتِ الاِجْتِماعِيَّةَ والتارِيخِيَّةَ أَصْدَقَ تَصْويرٍ.

طُبع في إنجلترا ١٩٨٤



Series 654 Arabic